الصّف السّادس

المحور الرّابع

الدّرس الأول

عُمَر أَفَنْدي وَالعُود

١. كانَ ساكِنًا بِالقُرْبِ مِنْ مَنْزِلي، في غُرْفَةٍ مِنْ فُنْدُقٍ صَغيرٍ. ذاتَ مَساءٍ، رَأَيْتُهُ راجِعًا إِلَى غُرْفَتِهِ، قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ. وَلَمَحْتُ عَلى جَبينِهِ غُضونًا, وَفي عَيْنَيْهِ كَآبَةً.

فَقُلْتُ لَهُ:

- مَرْحَبًا يا «صَديقي ». كَيْفَ حالُكَ؟

- وَاللَّهِ يا «صَديقي» أَسْوَأُ الأَحْوال!

- وَماذا تَشْكو!؟

- وَهَلْ يَشْكو إِنْسانٌ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ أَمْرًا، غَيْرَ قِلَّةِ الدَّراهِمِ؟

- أَلَيْسَ لَدَيْكَ عَمَلٌ؟

فَتَرَدَّدَ بِالْجَوابِ:

- بَلْ عِنْدي دُكَّانُ بَضائِعَ في المَدينَةِ، وَلَكِنَّ السّوقَ كاسِدَةٌ . ثُمَّ إِنّي أَعْزُفُ عَلى العودِ، فَالمُوسيقى هِيَ الأَحَبُّ إِلَيَّ. وَتَرَكْتُهُ وَحْدَهُ عَلى الشُّرْفَةِ، وَذَهَبْتُ إِلَى مَنْزِلي.

۲.وَإِنّنِي لَأُفَكِّرُ في شَأْنِهِ، إِذا بِهِ يَضْرِبُ عَلى عودِهِ، وَيُغَنّي «يا لَيْل»، بِصَوْتِهِ الخافِتِ العَذْبِ. فَلَمَّا أَطَّلَلْتُ عَلَيهِ مِنْ نافِذَتي قالَ:

- أَتُريدُ أَنْ أُسْمِعَكَ بَعْضَ أَلْحاني؟

- هاتِ! إِّني أُحِبَّ العودَ.

وَكَأَنَّ كَلامي هَذا شَجَّعَهُ، فَطَفِقَ يَضْرِبُ عَلى الأَوْتارِ بِعُنْفٍ، وَيَتَرَنَّحُ كَالْنَشْوانِ. ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجْأَةً وَخاطَـبَني قائِلًا:

- إِنَّ رُفَقائي آتونَ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ إِلَى هُنا، لِلْمُفاوَضَةِ في شَأْنِ مَشْروعٍ غِنائِيٍّ كَبير.

- مُوَفَّقُ إِنْ شاءَ اللَّه!

۳. وَاتُّفِقَ مَرَّةً، أَنَّ كُنْتُ عائِدًا إِلى مَنْزِلي بَعْدَ الظُّهْرِ، فَرَأَيْتُ جاري في أَحَدِ الشَّوارِعِ، يَحْمِلُ عَلى كَتِفِهِ صُنْدوقًا، وَيَطوفُ مُنادِيًا بِكُلِّ تَواضُعٍ: مَعَنا كَلْسات، مَعَنا مَناشِف.. فَحانَتْ مِنْهُ التِفاتَةٌ إِلَيَّ، فَحَوَّلَ عَنِّى وَجْهَهُ، مُتَظاهِرًا بِعَدَمِ رُؤْيَتِهِ إِيّايَ...